مرثية محمّد الأمين بن الحسن

كلمات محمّد بن أحمد زاروق (الشّاعر)

1 قد طَوَى البَهجةَ رَكْبٌ واستقَلّْ لو درَىٰ ركبُ المَنايا مَن أقَلّْ

2 بدرُ عِزٍّ أفَلتْ أنوارُه بعدَ تَمٍّ، أَيُّ بدرٍ قد أَفَلْ؟

3 نزَل الكوكبُ مِن علیائِه عاش بالحقِّ، وبالحقِّ نزَلْ

4 أيُّها المَوتُ لقد غيَّبتَ مَن كان للدَّعوةِ رِدءًا أن تُذَلّْ

5 مُقلةٌ مِن عابدٍ أغمضتَها ليس يدري اللّيلَ إغماضَ المُقَلْ

6 دمعةٌ مِن قانتٍ أمسكتَها كان يُرخيها إذا اللّيلُ سَدَلْ

7 ويدٌ أسكنتَها كم سكَّنتْ رُوعَ مِسكينٍ وملهوفٍ أَزَلْ

8 لِبَجالٍ قد زَكَتْ أخلاقُه كان صرْحًا مِن خِصالٍ فارتَحَلْ

9 فالأمينُ المُرتضىٰ مِن حِميَرٍ مِن قِسِيِّ النَّبْعِ في أعلى القُلَلْ

10 صِنوُ نخلٍ باسقاتٍ بالنَّدىٰ مُكرَعاتٍ ليس فيها مِن حَضَلْ

11 هو مِن قومٍ أبىٰ خَطِّيُّهم غيرَ نهجٍ يَتبَعُ القومَ الأُوَلْ

12 أَعيُنٌ مُبيَضَّةٌ مِن فَقدِه دامِعاتٌ راسِعاتٌ مِن حَذَلْ

13 مُصمَئِلُّ الخَطبِ قد أَزرَىٰ بها فهْو شَوكٌ لعُيونٍ قد سَمَلْ

14 لا تَلُمْني إن سَفحتُ الدَّمعَ، لا إنّما اللَّومُ علىٰ جَفنٍ أَقَلّْ

15 إنّه قد زاد قلبي حسرةً واستفاض الدَّمعُ منّي وانهَمَلْ
16 أنّ شيخي لم أكن ودَّعتُهُ فعَراني منه ما لا يُحتمَلْ
17 طَعْمُ بَيْنٍ لم تَطُلْ أيّامُهُ كيف طعمُ البَينِ إن طال الأجَلْ
18 رُزْؤُه قد هاج رُزْءًا قبلَه نَكَأَ الجُرحَ وما كان اندَمَلْ
19 فقْدُ أشياخٍ لنا مِن قبلِه وَدُّعونا رَسَلًا بعدَ رَسَلْ
20 هُدَّ للدَّعوةِ كهفٌ كم ثَأَىٰ مِن نِزاعٍ وخِلافٍ وجَدَلْ
21 قد بدا في المُنتَدىٰ ما رَمَّهُ جمَع الشَّمْلَ وقد كان اشمعَلّْ
22 مُشرِقُ الوجهِ وفي لَألائِه سِيرةُ الأسلافِ، عنها ما عدَلْ
23 وفقيهٌ تحتذي أقدامُه سُنَّةَ المُختارِ، لا يَرضَى النِّحَلْ
24 باسطُ الكفِّ إذا ما سائلٌ أَمَّهُ اهتزَّ بِجَودٍ وسَبَلْ
25 هو بحرُ الجُودِ لٰكن مُسجَرٌ مَوْجُه إن مُنكَرٌ بالنّاسِ حَلّْ
26 والمُحيَّا باسِمٌ لٰكنّه إن رأىٰ ما يُغضِبُ اللهَ بَسَلْ
27 هو للفُسّاقِ شَرْيٌ حَنظَلٌ ولأهلِ اللهِ أَرْيٌ وعَسَلْ
28 بطلٌ ما هزَّه مِن باطلٍ رحمةُ اللهِ علىٰ ذاك البطَلْ
29 أيُّ آسٍ لِمَآسٍ أَظلَمَتْ غيرُ نُورِ الصَّبرِ في الخَطبِ الجَلَلْ
30 نُسبِلُ الدَّمْعَ وَزَفْراتِ الأَسَىٰ مع رِضانا بقضاءِ اللهِ جَلّْ
31 وعَزَاءً فالمَنايا مَنهَلٌ غَمَراتٌ ليس عنها مِن حِوَلْ
32 هي قَيْدٌ إن تكن قد أَمهَلتْ هل يَفُكُّ القيدَ إرخاءُ الطِّوَلْ؟

33 وسَراةُ القَومِ تَهوِي نحوَها في وَجِيفٍ زُمَرًا صوبَ الأَجَلْ
34 تَخطَفُ الطِّفْلَ ومَن تَخدي به أَرحُلُ الشَّيبِ تَهادَى للطَّفَلْ
35 تلك نِيرانُ المَنايا شُعْلةٌ لم يَذُدْها الشَّيبُ في الرَّأسِ اشتَعَلْ
36 يا إلٰهي، ذا الأمينُ المُرتَضَىٰ هو ضَيفٌ وإليكم قد وَأَلْ
37 ماهرٌ بالوحيِ مُعتَزٌّ به يقرأُ الوحيَ اتِّئادًا في رَتَلْ
38 ربِّ، بَوِّئْهُ أمانًا، إنّه كان في خوفٍ شديدٍ ووَجَلْ
39 فاكسُه يا ربِّ مِن إستَبرَقٍ واكسُه مِن سُندُسٍ أَبهَى الحُلَلْ
40 بجِنانٍ فُتِّحتْ أبوابُها في نعيمٍ وظِلالٍ وبَجَلْ
41 واسْقِ قبرًا قد حَوَىٰ جُثمانَه بعُبابٍ وعِهادٍ وحَمَلْ
42 فيه ودَّعتُ حليمًا سيِّدًا وحكيمًا ونديمًا لا يُـمَلّْ
43 إن أُوَدِّعْ فبُكائي حاضرٌ كلَّ شيءٍ مِن كِياني قد شَمَلْ
44 فشَغافُ القلبِ منّي قد بَكَىٰ وسُطوري، وبكىٰ بحرُ الرَّمَلْ
45 وعلى الحِبِّ صلاةٌ دِيمةٌ ذاتُ دَجنٍ دَوحُهُ منها اخْضَأَلّْ

عشيّة الأربعاء 2 شوّال 1440.